صفحة ذهبية من تاريخ لبنان

البطريرك اللبناني
الياس بطرس الحويك

بقلم الخوري منصور عوّاد عوّاد

٦

موقف البطريرك من الكنيسة

« نؤمن بالهٍ واحد ... وبكنيسة واحدة جامعة مقدسة رسولية ...»

ان الالفاظ والكلمات الاولى التي طرقت مسمع الطفل الياس الحويك ، عهد كان لا يزال على ذراع والدته غرّة في حلتا ، يوم لم يكن يفهم جيدًا معنى الكلام ، كان فعل الايمان الحيّ بالله وبكنيسته تتلوه في الغدو والاصال تلك الوالدة المارونية التقية بتلاوة قانون الايمان . وترعرع الياس فكان اول ما زار كنيسة حلتا فظنها « الكنيسة الواحدة » التي كانت تترنم باسمها والدته والتي كان فيها ابوه كاهن الرب وخادم النفوس ، فاذا بابيه يشرح للرعية « قانون الايمان » ففهم ان هذه الكنيسة هي صورة رمزية مصغّرة لكنيسة الله الجامعة التي هي جماعة المؤمنين بالمسيح وبيعته وباسراره وبتعاليمه وبرئاسة نائبه على الارض بابا رومية .

لم تقع لحاظ الطفل الياس عندما فتح عينيه على ما حول حلتا من اودية وهضاب وجبال ، على بلدٍ مأهول ، قبل ان وقعت على كفرحي ، معهد البطريركية المارونية في لبنان، فهي تجاه حلتا وعلى رمية حجر منها ! في كنيسة حلتا عرف من والده الخوري بطرس ان القديس بطرس زعيم الرسل ونائب اليد المسيح « الصخرة » التي عليها أسّس مخلص العالم ابن الله كنيسته ، قد أسّس ، بعد صعود الرب يسوع الى السماء ، الكنيسة الانطاكية في انطاكية

وترأسها بنفسه سبع سنوات ، وانه انتقل من هناك الى رومية وأسس كرسيه الدائم كرسي الرئاسة العامة على بيعة الله في عاصمة الرومان ، وان الموارنة تعلقوا بالكرسي الروماني تعلقاً متيناً بما ان الجالس عليه هو رأس الكنيسة المنظور وخليفة القديس بطرس مؤسس كنيستهم الانطاكية ، وانه في سبيل هذا التعلق والاتحاد في العقيدة سفك ثلاثمائة وخمسون راهباً من رهبان القديس مارون دمهم ، فختموا الحب والاعتقاد القويم بالعمل وبالدم .. وانهم ، بسبب الاضطهاد الذي وقع عليهم لاجل ايمانهم المستقيم ، هربوا الى جبال لبنان الصخرية القاحلة ولاذوا بمغاورها وكهوفها للمحافظة على معتقداتهم سليمة من الشوائب ، وان القديس يوحنا مارون عندما انتُخب بطريركاً شرعياً على كرسي بطرس الانطاكي نقل كرسيه الى كفرحي في لبنان فتيسر له صيانة قطيعه ورعايته في مأمن من الاضطهاد .

ما بلغ الياس الادراك التام حتى عهد به والده الى مدرسة مار يوحنا مارون الاكليريكية في كفرحي فتلقن فيها تاريخ الموارنة وعرف ان امجادهم تنحصر في اتحادهم المستمر بالكرسي الروماني دون انقطاع . فكانت التقاليد المارونية الدينية تنمو فيه بنموه عقلاً وجسماً . وازداد معرفة بالكنيسة ، وبرومية امّ الكنائس ومعلمتهن ، في مدرسة الاباء اليسوعيين في غزير طيلة السنين التي قضاها في تلك المدرسة الاكليريكية بين آباء واكليريكيين ينتمون الى طوائف كاثوليكية شرقية عديدة ، والى الطائفة الغربية اللاتينية اكبر الطوائف واعظمها في بيعة الله .

وقد تدرّج في تلك المعرفة والمحبة تدرجاً بعناية ربانية خاصة ، وعندما اوشك ان ينجز دروسه في مدرسة غزير قيّضت له عناية الله ان يُبعث الى « مدرسة انتشار الايمان المقدس » في رومية فانتهى اليها وانضمّ الى طلّابها سنة ١٨٦٦ ، وبقي فيها الى سنة ١٨٧٠ مكتملاً فيها دروسه اللاهوتية والقانونية والتاريخية عائشاً في ظلّ كرسي بطرس برفقة طلّاب الكهنوت الوافدين الى رومية من جميع جهات العالم . فادرك بالحسّ والاختبار ما معنى كلمات « الكنيسة الواحدة الجامعة » التي كان يسمعها من فم والدته في عهد طفوليته !

ثم عاد الى لبنان كاهناً تخصص لخدمة الطائفة المارونية في خدمة البطريرك العظيم بولس مسعد ، فتمرّس في البطريركية على معرفة التقاليد المارونية معرفة عملية . وما زال ذلك دأبه حتى سيم اسقفاً ، ثم ارتقى الى السدّة البطريركية . فلا نغالي اذا قلنا عنه انه كان صورة حيّة لتاريخ الطائفة المارونية في ايمانه بالله وبكنيسته وفي تعلّقه بالكرسي الروماني .

اننا نقرأ تعلّق البطريرك اللبناني بالكرسي الرسولي في منشوره الاول الذي اذاعه فور ارتقائه الى السدّة البطريركية ، في شباط ١٨٩٩ ، وكان ذلك المنشور بمثابة البرنامج لبطريركيته فقد قال فيه موجهاً الكلام الى ابناء طائفته :

« وفي الختام ، نرغب ونوصيكم بالزب ، ايها الاخوة الجزيلو الاحترام والابناء الاعزاء ، ان تداوموا المحافظة التامة على امرين خطيرين طالما حافظت عليها طائفتنا وكانا موضوع مجدها وفخرها : احدهما ديني وهو إخلاص التعلّق بأمنا الكنيسة الرومانية المقدسة أمّ جميع الكنائس ومعلمتهنّ ، والخضوع التام للحبر الروماني الاعظم رئيس الكنيسة العام ونائب سيدنا يسوع المسيح في الارض وخليفة بطرس رئيس الرسل . »[١]

ونقرأ تعلّقه بالكرسي الرسولي مفصلاً في منشوره العاشر الذي اذاعه على الطائفة المارونية في ٢٢ ايار ١٩٠٨ بعنوان : « تعلّق الطائفة المارونية بالكرسي الرسولي » ، فقد قال في مستهلّ ذاك المنشور النفيس :

« قضية قد اشتهرت عند العام والخاص شدّة تمسّك شعبنا الماروني بايمان القديس بطرس ودوام تعلّقه بطاعة الكرسي الروماني . وهذه القضية تكاد تساوي بصدقها التاريخي صراحة العمل بها . »

ثم سرد تاريخ الطائفة في هذا التعلق الشريف سرداً موجزاً بليغاً ، وتغنى بالمدائح التي كان احبار رومية يمدحون بها طائفته لاجل ثباتها في الايمان عصراً بعد عصر ، مما لم يمدحوا به شعباً آخر من شعوب الكنيسة الكاثوليكية ، واتبع ذلك بالتعليم الاعتقادي الواجب الاتباع في هذا التعلّق ، مفصلاً ذلك تفصيلاً لاهوتياً وقانونياً دقيقاً موردًا القواعد العملية التي ينبغي التقيد بها في حياة كل ماروني بل في حياة كل كاثوليكي . وينهي تعليمه بالعبارات الآتية :

« فبعد هذا الايضاح ، ايها الابناء الاعزاء ، ألا يحق علينا ان نحكم بوجوب المديح

١) راجع مجموعة مناشير البطريرك اللبناني المعروفة باسم « الذخائر السنية » المطبوعة في مطبعة المرسلين اللبنانيين ، جونية ١٩٣١ ، ص ١٤

والاطراء على اجدادنا لاجل تمسكهم الشديد بالكنيسة الرومانية ام جميع الكنائس ؟ ألا يجب علينا ان نؤدي قروض الشكر على تمسّكهم ضمن الميثة في هذا الجيل المبارك لكي يحفظوا لنا الميراث المقدس اعني به وديعة الايمان سالمة ؟ وبالاحرى الا ينبغي علينا ان نقتفي آثارهم ونحافظ على ايماننا وخضوعنا للكرسي الرسولي المقدس ولو كلّفنا ذلك سفك الدم ؟ الا تعلمون ايها الابناء الاعزاء ان فخر طائفتنا وقداسة قديسيها وشهرة جهابذتها ومعلّميها كل ذلك مصدره المحافظة على الايمان القويم والتمسّك الشديد بطاعة الحبر الاعظم ؟ نعم ان حياة طائفتنا الروحية وقوامها يتعلّقان بهذا الامر . »(١)

فتعلق البطريرك اللبناني بالكرسي الرسولي كان يظهر في كل اعماله وفي جميع اقواله . وكان يراجع غالباً الكلمة المأثورة في الطائفة المارونية ، وهي : « ايماني ايمان بطرس وايمان بطرس ايماني . » ومن راجع جميع مناشير البطريرك اللبناني يرى بأمّ العين مفصّلاً ما لا قبل لنا باثباته في هذه اللمحة ، ويتحقق ان من اسرار عظمة ذلك البطريرك امام الله والناس تعلّقه القلبي الصادق بالكرسي الروماني . حسبنا ان نشير اشارةً الى احد مناشيره الاخيرة المعنون « محبة الكنيسة » الذي اذاعه في ٥ ك ١ سنة ١٩٢٩ ، وهو يُعدُّ مع المنشور الذي تلاه بمثابة وصيته الاخيرة ؛ ان كل كلمة وردت في هذا المنشور لحرية بالتأمل والاعتبار جديرة بالحفظ للعمل بها . ما استطاع البطريرك اللبناني ان يمثل عواطفه ويخلّدها لابنائه بأفضل مما فعل باذاعته ذلك المنشور النفيس الخالد . واني احيل القارئ الى مطالعته في « الذخائر السنيّة » فقد اثبت من صفحة ٧٦٠ حتى صفحة ٧٩٠ ولكن لا بدَّ لي من ان استعير منه مستهلّه ، قال :

« ان اشهر شيء لدينا نستهل به رسالتنا اليكم في هذا العام اسداء الشكر العزّة الالهية على نعمها المتواصلة علينا فاتحا رحمتها بعنايتها الخاصة من المهد حتى الساعة ومدّت بأجلنا فتوالى في ايامنا على كرسي القديس بطرس خمسة من الاحبار الرومانيين العظام اغدقوا على طائفتنا باحساناتهم ووجّهوا اليها عنايتهم الخاصة . وقد اسعدنا الحظ بان عرفنا منهم اربعة معرفة شخصية : فيوس التاسع المشهور بقداسة سيرته وصبره على المحن وجمه بين الحزم والدعة قد تلقّينا في حماه دروسنا اللاهوتية في مدرسة نشر الايمان (١٨٦٦ — ١٨٧٠) ، ولاوون الثالث عشر العظيم قد مثلنا اكثر من مرّة بحضرته . فخصنا بعطفه المشهور وغمرنا بجميله الشامل اذ بذل ما بذله عن سخاء نادر ونبالة مقصد في سبيل تجديد مدرستنا المارونية في عاصمة الكثلكة . وباراه في محبته لنا بيوس العاشر لدن زرنا الاعتاب الرسولية بذاتنا سنة ١٩٠٥ . ولا ننسى

١) راجع هذا المنشور النفيس في « الذخائر السنيّة » من ص ٢٦٢ الى ص ٢١٣

بنديكتوس الخامس عشر فانه كان من اكبر المعزّين لنا في ضيقاتنا ايام الحرب الكونية ومن المهدين لنا السبيل في نيل استقلال لبنان لدن زرناه سنة ١٩١٩ . اما قداسة ابينا البابا بيوس الحادي عشر المالك سعيداً ، بادرة العصر في فضائله ومكارمه ، فحالت الشيخوخة دون نيلنا ما كنا نتمناه من الشخوص اليه بذاتنا لتهنئته بيوبيله الذهبي الكهنوتي وعهد السلم الروماني ولنطرح امام قداسته واجب تعلقنا البنوي وخضوعنا الديني واخلاصنا التام وانقيادنا المطلق لاوامر خلف بطرس الرسول وتعاليمه مكرّمين بشخصه نائب المسيح نفسه ، فأوفدنا من قبلنا وفداً قام نيابة عنا بهذا الواجب فقابله الاب الاقدس في ١٠ ايار سنة ١٩٣٩ مقابلة اب حنون لابنائه الاخصاء . وكلّف الوفد بان يحمل الينا بركته ومحبته الابوية وعطفه الخاص على طائفتنا .»

ثم ختم رسالته الابوية الطافحة بمحبة الكنيسة والطائفة وبالتعليم الصحيح ومعرفة الجميل ، بالعبارات النفيسة التالية :

« ان ما يطناه لكم ، ايها الابناء الاعزاء ، في شأن محبة الكنيسة امرٌ قد اشتهرت به طائفتنا لدى العام والخاص . وهذه الحلّة تفاخر بها . وقد قرّظنا الاحبار الاعظمون عليها تقاريظ بديعة في رسائلهم المديدة الى اسلافنا البطاركة ، وما اوردناه اوردناه من باب التذكير والحضّ . فانا لنخاف من انه كما اضاءت الحيّة حوّاء بمكرها ، هكذا تفسد ضمائركم من البساطة التي هي لكم بالمسيح . ونوجّه نداءنا خاصةً الى المتفرّنجين منكم فتمسّكوا بما عندكم لئلا يؤخذ منكم اكليل فخركم . ولنا وثيق الامل بانكم تكونون اكليل فخر لنا يوم مجيء ربنا . نودّعكم الله ونودع كلامنا الابوي في قلوبكم النقيّة .»

ما احبّ البطريرك اللبناني رومية وتعلّق بالكرسي الرسولي في اقواله فقط ، بل كان تعلّقه يتجلّى عملياً بكل حركة من حركاته ، وفي كل عمل من اعماله الشخصية الفردية والعمومية . فقد كان يفتح قلبه لرومية موضحاً لها ما يخطر بباله اعتراضاً على كل تدبير اداري مما كان يظن انه لا يناسب لمصلحة النفوس ولا لخير الكنيسة ، شأنه في ذلك معها شأن الابن المخلص مع امه الحنون . وعند ما كانت رومية تصرّ على أمر كان يذعن لها اذعاناً بنوياً باخلاص وصدق وطاعة حقيقية بالقلب واللسان لا بالشفتين فقط . والذين عاشروه في بطريركيته وعرفوه في اسقفيته شهود على صدق ما اقول . وانا قد عرفت وخبرت ذلك منه بنفسي طيلة اثنتي عشرة سنة . وكان في المشاكل الصعبة المتعلقة بالكرسي الرسولي ينتهي بحلّ المعضلة بما يوافق خضوعه التام لرومية مستشهداً بالبطريرك بولس مسعد قائلاً : «هكذا كان يفعل او هكذا كان يقول البطريرك

بولس مسعد عند ما كنت امين سره ، او هكذا كان يروي لي البطريرك بولس نقلاً عن البطريرك الحبيشي ، وانا كما كان يفضل البطريرك بولس افضل ! »

من ادلة حبه للكرسي الرسولي انه سعى عند ما كان اسقفاً فحقق نية سلفه البطريرك يوحنا الحاج ، فجدد مدرسة الطائفة المارونية في رومية باذلاً في ذلك السبيل جهوداً وتضحيات عظيمة سبقت الاشارة اليها . وما ذلك منه الا لاعتقاده ان اكليروس الطائفة المارونية لن يستطيع ان يحافظ على وديعة الايمان الكاثوليكي التي اورثه اياها الجدود بدمائهم وتضحياتهم المنقطعة النظير الا اذا استقى فريق منه التعليم الروماني في عاصمة الكثلكة نفسها على منهاج آبائنا القدماء . وقد ظل حتى وفاته مختصاً هذه المدرسة بعنايته الخاصة . وابتهج الابتهاج القلبي واغتبطت روحه فيه عندما تنازل الحبر الاعظم المالك سيدنا قداسة البابا بيوس الحادي عشر فأسند ادارة المدرسة ورئاستها الى الرهبانية اليسوعية الجليلة فقال : « الآن تغتبط روحي فيَّ واقدر ان اردد بسلام الربّ مطمئن البال ، لان مدرستنا في رومية سُلِّمت الى الآباء اليسوعيين ، فلا شك ان ذلك من عناية الله بنا ورضاه على الطائفة . لان مدرستنا الرومانية القديمة التي اوجدت لنا اعظم رجال في الطائفة بالفضيلة والعلم واحرزت لنا بفضلهم افضل مجد في الدين والدنيا شرقاً وغرباً كانت بتسلم الرهبانية اليسوعية ، ووصلنا الى ما وصلنا اليه من التقدم والازدهار بقسط كبير من عناية هذه الرهبانية المباركة . » وقد ظل الى آخر رمق من حياته يطّلع بنفسه على حسابات مدرسة رومية ، وعلى جميع ما يتعلق بها من كلي وجزئي ، ويهتم بشؤونها .

والغريب في حياته انه عندما كان يأتيه البريد كان يلقي عليه نظرة عمومية فاذا لمح ان بين الرسائل واحدة عليها طابع بريد رومية عمد الى فضها والاطلاع عليها قبل سواها ! حادثة صغيرة هي واشباهها تدلّ على عواطف النفس واخلاق صاحبها ، هي ميزة الاحترام لرومية كانت منطوية عليها نفسه الكبيرة فكانت تلك الميزة تتجلى في جميع اعماله الكبيرة والصغيرة .

اكرامه لقاصد الكرسي الرسولي ولجميع رجال روحية ورسلها

كل شيء يختفي او في استطاعة الانسان كتمه الّا المحبة فانها تفضح صاحبها . فحري بالانسان ان يكون حبّه مقدساً لتكون فضيحته لمجده وخيره. ان تعلّق البطريرك اللبناني بالكرسي الرسولي كان ينشره عفواً حبّه لنيافة القاصد الرسولي واكرامه اياه ، بل الاعتبار الحقيقي الصادق الذي كان يبدو منه في كل فرصة ومكان نحو ممثل الحبر الاعظم ايًّا كان ونحو رجال الكنيسة الرومانية وخاصة نحو المرسلين الغربيين . فانه ما كان يأتي عملًا خطيرًا في الشؤون الدينية او المدنية قبل ان يكون استشار ممثل البابا . وكان غالباً يعمل برأيه او يتحد معه في العمل . وكان عارفاً ان المرسلين الغربيين هم الواسطة الفعّالة لنشر الدين الكاثوليكي في البلاد ولتثبيت الموارنة في عقائد اجدادهم الكاثوليكية وتنويرهم فيها تنويرًا يدرأ عنهم مخاطر العصر الحاضر ومفاسده العديدة ، فساعد على انتشارهم فيما بين ابنائه . ففي ايامه أنشأت الرسالات الغربية للرهبان والراهبات الاديار الكثيرة والمدارس العديدة في المدن وفي الجبل ، وكثر اقبال الناشئة المارونية عليها . وكان يزور بعضها مرارًا تنشيطاً لها بمثله وبكلامه في الثناء عليها وعلى اربابها .

وما ذكر قطّ في تاريخ الرسالات الغربية انها انتشرت في لبنان او في بلد آخر كانتشارها في بلادنا على عهد البطريرك اللبناني . وكان جلّ طلبتها من الموارنة واكثر اساتذتها من الموارنة ، ولا يزال الأمر كذلك . وقد احبّ الرهبانية اليسوعية حبًّا خاصًّا ليس لانه كان من تلاميذها القدماء ولا لانها ذات الايادي البيض على الطائفة المارونية منذ نشأتها فحسب ، بل لانها مرتبطة بمحبة الحبر الأعظم وطاعته وخدمته بنذر خاص . وقد كان يتهلل عندما يرى في حضرته يسوعياً . وما انحدر مرةً الى بيروت في بطريركيته الّا خصّ كلية الآباء اليسوعيين بزيارة منه رسمية يحفّ به فيها جميع بطانته . وكان يفاخر امام الجميع انه ممن تخرّجوا على الآباء اليسوعيين في دروسه البدائية واللغوية والفلسفية . .

كان يقرأ بذاته مجلة « المشرق » وجريدة « البشير » دائماً ، ولا يغفل منها حرفاً . وينشر مناشيره وأوامره في جريدة « البشير » كأنها لسان حاله الخاصّ . وما كان يقتحم امراً خطيراً الّا بعد ان يرسل فيستشير رئيس رسالة الآباء اليسوعيين . كان يُسرّ بالكاهن الذي كان يستخدم عند هؤلاء الآباء ويظهر له كل عطفه ، ويثني على ثباته في خدمتهم ويقول : «ان من يلتصق بهؤلاء الآباء يدلّ على انه شديد التعلّق برومية وبالسيد المسيح !»

اني اذكر ، ولا انسى ، اني ، لما كنت محرراً في جريدة « البشير » وكنت اتشرّف بزيارته مرّة ومرّتين في الاسبوع ، كان اول ما يبادرني به السؤال عن الاب كانن ، والاب شانتور ، ويصرف وقته معي يسألني عن سائر الآباء . ويثني على نهضة هذه الرسالة في الشرق ، مبيناً الخير الذي اجراه الله على ايدي ابنائها للطائفة المارونية وللشرق أجمع ويحرّضني على الاقتداء بهم وبثباتهم في عمل الخير .

ما كان يرتاح ضميره الى طبع كتاب الّا اذا كان قد اجازه او وافق عليه احد الآباء اليسوعيين . وكثيراً ما اذاع على النـاس بكتابات علنية في فرص مختلفة ، تقديره للرهبانية اليسوعية ولرجالها ولاعمالها ، وشكره اياها لما تبذله في سبيل الطائفة والشرق من الخير للنفوس وما تقدّمه من الخدم للآداب والعلوم الشرقية .

وفي الحرب الكونية عندما اضطُهد المرسلون وطُردوا من اديارهم وذُهب بهم الى المنفى اغتمّ قلب البطريرك واوصى اساقفته ورهبانه ووكلاءه باكرام البقية الباقية من اولئك المرسلين في البـلاد . فأنزلوهم في اديارهم وعاملوهم معاملة آباء محسنين اليهم ورسل قديسين فيما بينهم .

مقابلة المحبة بالمحبة

قد قدّر الاحبار الاعاظم للبطريرك اللبناني تعلّقه بهم واخلاصه للكنيسة فأبدوا له من العطف والمساعدة له في جميع اعماله ما قرأناه مراراً في رسائلهم التي نُشرت على صفحات الجرائد والمجلات ، والتي صرّح بها البطريرك اللبناني ذاته باقواله وكتاباته . وما كانوا يردّون له طلباً . وعلى مثلهم سار القصّاد

والمرسلون. واني اذكر من ذلك امرًا واحدًا ، وهو انه عندما تقرر تطويب شهداء الآباء الفرنسيسكان الذين قتلوا في دمشق بغضاً بالدين سنة ١٨٦٠ ، طلب البطريرك اللبناني، في مجمع اساقفته، بناء على اشارة نيافة القاصد الرسولي، السيد فريديانو جياننيني ، والسماس المثلث الرحمة المطران بشاره الشمالي مطران دمشق ، من قداسة الحبر الاعظم ان يتنازل ويدمج بسلطانه الرسولي في سلك اولئك الشهداء الموارنة المسابكيين الثلاثة الذين استشهدوا في دير الآباء الفرنسيسكان نفسه في دمشق ، وامتزج دمهم بدماء الآباء الفرنسيسكان انفسهم . فما كان من نيافة القاصد الرسولي الا ان بادر ايضاً وأيد الطلب بكل قواه ، وقد قدم ذلك الالتماس في ٤ ايار سنة ١٩٢٦ ، فما عتم قداسة البابا ان تنازل واستجاب الاستغاثة برقياً بتاريخ ١٦ ايار نفسه سنة ١٩٢٦ ، معتمداً على وسائل غير اعتيادية. وفي ٧ ت١ سنة ١٩٢٦ تُليت براءة التطويب في كنيسة القديس بطرس الملوكية في رومية بحفلة من تلك الحفلات البابوية البالغة منتهى الجمال والرونق والعظمة والخشوع. وهكذا أحصي الشهداء الموارنة المسابكيون فرنسيس، وعبد المعطي ، ورافائيل ، في عداد الطوباويين مع من كان قد مضى على السعي لاجل تطويبهم نحو ستٍ وستين سنة ![1]

وهل من يجهل المساعي التي بذلها نيافة القاصد الرسولي الموما اليه ابان الحرب الكونية ، فانقذ البطريرك اللبناني من المنفى الذي كان قد اعده له الطاغية جمال باشا ، فتوفق الى انقاذه بهمة قاصد البابا في الاستانة ، السيد دولتي ، وبنفوذ عظمة البابا بنديكتوس الخامس عشر السعيد الذكر ؟

اجل ان المحبة تُقابل بالمحبة . وقد اشار البطريرك اللبناني نفسه الى هذه المنة مراراً في احاديثه وخطبه وكتاباته، وخاصة في منشوره: « محبة الكنيسة » الذي سبقت الاشارة اليه اذ قال عن البابا بنديكتوس الخامس عشر : « انه كان من اكبر المعزين لنا في ضيقاتنا ايام الحرب الكونية » ثم قال عنه :

---

١) راجع « الاخوة الشهداء الثلاثة » بقلم المطران بشاره الشمالي، مطران دمشق ، المطبوع سنة ١٩٢٦ في المطبعة الكاثوليكية ببيروت.

« انه كان من اكبر المهدين لنا السبيل في نيل استقلال لبنان لدن زرناه سنة ١٩١٩ ».

ولم يكن نيافة القاصد الرسولي السيد فريديانو جيانيني اقل غيرة من الحبر الاعظم في مناصرة البطريرك اللبناني لنيل استقلال لبنان . وكل يعلم المساعي التي بذلها حبيب لبنان وشبيته، بل حبيب الشبيبة الشرقية وجميع ابناء المشرق، المحسن اليهم المأسوف على فضائله واخلاقه الكبيرة السامية معدن الرقة واللطف الاب لوسيان كاتن اليسوعي ، والاب شانتور ، في هذا السبيل موازرةً للبطريرك اللبناني وتحقيقاً لنياته.

لم يُذكَر للطائفة المارونية عصر ازدهرت فيه الرسالات الغربية الكاثوليكية وترقّت الناشئة اللبنانية ، ولاسيما الناشئة المارونية في الدين والاداب ، وكان فيه الاتفاق بينها وبين البطريرك الماروني واساقفته ورهبانه وشعبه سائداً كعصر البطريرك اللبناني فعلى الرغم من الحرب الكونية، ومن المجاعة اللبنانية، ومن الانقلابات السياسية التي حدثت في ايامه ، كان عصره في داخلية الطائفة عصر سلام وطمأنينة وازدهار . وعندما كان يزوره المرسلون مع تلامذتهم في آخر ايامه كان يشعر بتعزية كبيرة ويتهلّل بروحه وتغرورق عيناه بدموع الفرح والتعزية وتبدو على اساريره ملامح سرور قلبه ، ويتسع في وجهه ضياء البهجة ويُسمع مكرّرًا : « نشكر الله . نشكر الله ! »

فاذا كان الموارنة خصوصاً واللبنانيون عموماً قد بكوا البطريرك اللبناني بدموع سخينة متأسفين على عصره وفضائله ، فان المرسلين لم يكونوا اقلّ حسرةً عليه وتأسفاً من اللبنانيين عمومهم ومن الموارنة انفسهم ، لان الرجال يقدّرون الرجال !

فتبارك الله ، ان موقف البطريرك اللبناني من الكرسي الرسولي كان مجيداً شريفاً كجميع مواقفه . ولا غرو فقد كان يحب رومية لان الله اقامها أمًّا لجميع الكنائس ومعلمة معصومة . ومن احبّ الله بكل قواه من عهده الى لحده بمعرفة راسخة ما كان يستطيع الا ان يحب كنيسته تعالى بكل ما فيه من حياة وشعور وقول وعمل !